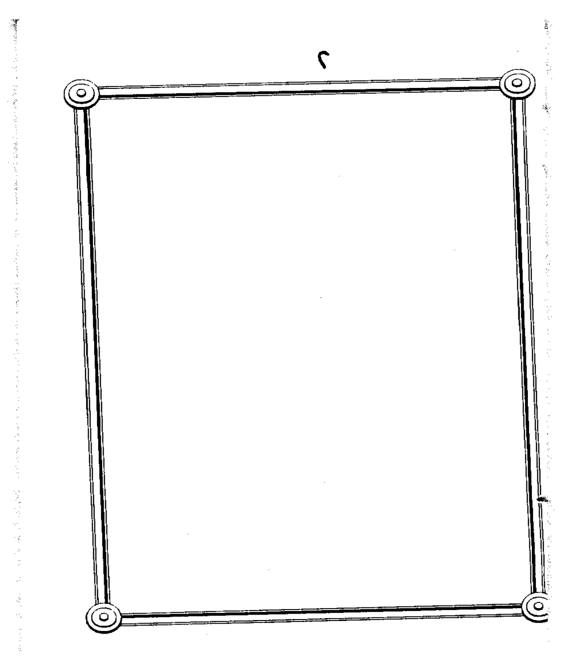
ثبوت القدمين

فى سؤال الملكين

للعارف الكامل ، مجمع الفضل والكمالات
ومطلع الفيض والبركات ، وشيخ الطريقة
ومعـدن الحقيقة ، مـولانا الشيـخ
عبد الغنى النابلسي قدس الله روحه
ونفعنا ببركة أنفاسه آمين

ضبطه وقدم له
أحمد فريد المزيدى

الناشر
مكتبة القاهرة
على يوسف سليمان
ت : ٥٩٠٥٩٠٥ - ٥١٤٧٥٨٠





مكتبة القاهرة
ت : ٥٩٠٥٩٠٩ ـ ٥١٤٧٥٨٠
ص . ب : ٩٤٦ العتبة
ش الصنادقية بالأزهر
الفرع : ١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى خلق السموات والأرضين ، وبث فيهما من المصنوعات ، وجعل ذلك دليلاً على وحدانيته ، فقبل ذلك الألباد من المؤمنين والمؤمنات ، وشرع شرعاً اختاره لنفسه ، وأرسل به رسله وأنزل به كتبه بالبينات فانقاد وللعمل به أهل السعادة من القانتين والقانتات ، وحاد عن اتباعه من خسر نفسه فوقع ف الخسران المهلك والحسرات .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة أعدها ذخيرة ليوم

الممات .

وأصل على سيد السابقين اللاحقين صلاة تملؤ جميع المخلوقات ، واسلم عليه سلاماً مباركاً مادام رب الأرض والسموات ، وعلى آله الطيبين أهل المكرمات ورضى الله عن الصحابة ، وعمن شمر خلفهم بصدق لنيل الدرجات العاليات .

وبعد :فإن بين يدى القارئ الكريم كتاباً من الكتب النافعة يضاف إلى مكتبة التراث الإسلامى ، والموعظة الرقيقة والحكمة اللطيفة ، تتضمن مختارات زهدية ، وخلاصة الأصول العقدية ، والمسائل السمعية ، والإشارات الإلهية

والجمالات المحمدية .

أتحفنا به شيخ إمام ، علامة فقيه محدث همام ، أكثر من التصنيف ووهب حياته للعلم والشرع الشريف ، فكان كتابه هذا بمثابة ثمرة التأليف .

فأسال الله الهدى والرشاد ، وأن يهدينا لما فى الخير وصلاح العباد ، وأن يثبت أقدامنا بفضله ويدخلنا الجنة مع خير خلقه سيدنا محمد النبى الهادّ .

وصلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً ، وعلى آله الطيبين الطاهرين أهل الفتح والرشاد .

ترجمة المؤلف

هـو الشيخ الإمام : عبد الغنى بن إسماعيل سـعيد عـبد الغـنى النابلسـى ، شـاعر ، عـالم بـالدين والأدب ، فكثر من التصنيف ، متصوف ولـد ونشاء فى دمشق ، ورحل إلى بغداد ، وعاد إلى سـورية ، فتنقل فى فلسطين ولبنان ، وسافر إلى مصـر والحجـاز ، واسـتقر فـى دمشق وتوفى بها سنة ١١٤٣ هـ - ١٧٣١ م .

مصـادر الترجمة : الأعلام للزركلى (٢٣١٤) سـلك الـدرر للموروى (٣ / ٣٠) تاريخ الأدب لـبروكلمان (٢ / ٤٧٣) وتـاريخ الجبرتى (١ / ١٥٤) وخزائن الكتب (٣٩ ،٤٢ ، ٥٢ ، ٥٨) ومعجم المطبوعات لسركيس (١٨٣٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

من أقل الإخوان وأحقر أبناء الزمان ، عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى الحنفى الدمشقى . لطفَ الله تعالى به وبالمسلمين . إلى أخيه فى الله تعالى الشيخ رمضان القاطن فى ولاية عنتاب المحروسة . جمع الله بيننا فى دار كرامته . وشملنا وإياه بلطائف رضوانه ورحمته .

أما بعد : فإنى أحمد الله تعالى على العافية وأشكره على نعمه الوافرة الوافية . وسلام الله تعالى ورحمته وبركاته عليك ،

وعلى كل من أحبك وأنتمى إليك .

وقد صحبتك يا أخى أوقاتاً فى مدة إقامتك فى ديارنا ، وزرتنا وزرناك وأنا أخشى أن الله تعالى يسألنى عن صحبتك فى يوم القيامة وما يجب على من الحقوق فيها .

ومراسلات الإخوان على الطريقة الأدبية كما هو المشهور ، أمر سئمنا منه إذا هو لا بنفع ولا يجدى شيئاً . وأنا أريد أن أراسلك على طريقة السلف الماضين فى بذل النصيحة والإعانة على الدين . وهذا فى الحقيقة شىء أخاطب به نفسى لأنها

دونك بيقين ولكن العذر إليك فى قلة بضاعتى . والله الموفق إلى الحق المبين .

ولقد علمت يا أخى أنك مشغول فى بلادك فى مناصحة الإخوان من الموحدين والحماية على هذا الدين المتين . فإن الله تعالى يمدك فى سعيك المشكور . وينفع بك أهل تلك البلاد ويزيد لهم الأجور .

فعليك يا أخى بالامتثال لأوامر الله تعالى ونواهيه فى باطنك وظاهرها ، وأحذر أن تتساهل فى شىء من ذلك طمعاً فى عفو الله تعالى وكرمه ، فإن هذا باب من أبواب المكر . وانصح إخوانك بنية

خـروجك مـن عهد أمر الله تعالى لك بذلك . ولا تـبق مـن بـذل الجهـد شـيئاً مخافـة مقـت مـن الـناس . أو مـراعاة لـلخواطر الدنيوية . فإنه لا يخفاك أن الكل بيد الله تعالى . ولله در القائل:

أعمل لوجه الله واحد

يكفيك كل الأوجه

وأنت تدرى ما ورد فى حق كتم العلم الـنافع مـن المـأثم ، ومـن عَلـم فى إخوانه المسـلمين عيـباً شـرعياً وكـتمه علـيهم ولم ينصحهم فـيه سـراً أو جهـراً عـلى لسـان العموم كان خائناً لهم غير ناصح .

واعلم أن الله تعالى سوف يسألك عنهم كما أنذرك الصادق ﷺ بقوله { كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته }[1] .

وأحذر أن تطلب منهم فى نصيحتك لهم مجمدة عندهم تخطر فى قلبك ، أو تكون لك عليهم منزلة ، أو تقصد مدح نفسك عندهم بما تفهمهم من براءتك عن أمورهم التى تنصحهم فيها ، وتحقق أن شيئاً من ذلك إذا خطر لك فهو وسوسة من عدوك الشيطان يريد أن يزيدك بما

---

(1) حديث صحيح : روه البخارى (٨٩٣) ، (٥١٨٨) ، (٥٢٠٠) ، (٤٢٠٩) ، (٢٥٥٨) ، (٢٧٥١) .

تتساهل فيه واعلم أن المتكلم على الناس بالنصيحة والتعليم بصفات الأنبياء والمرسلين فانظر كيف تتأدب بآداب من أنت قائم مقامه فى أمته ، ولهذا ورد أن العلماء ورثة الأنبياء .وقد ورد عن سهل ابن عبد الله التسترى أنه قال : من أراد النظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء ، فاعرف ذلك لهم وأحذر أن تكبر نفسك بسبب ذلك على من يحضرك فإنها مهلكه ، واعلم أنه لا فرق بينك وبين الحاضرين لديك غير أن الله تعالى خلق فيك إرادة واختيار ، لذلك فأنت

مخلوق كلك لله تعالى اختارك وقولك وعملك والفضل لله تعالى عليك فى خلق ذلك لك ، لا الفضل لك على غيرك إلا بجعل الله تعالى لاستحقاقك ، ومما يتعين عليك أن تكون لجماعتك الحاضرين عندك فى هذه الحياة الدنيا التى يمكن فيها تحصيل كل خير ، قبل أن يحال بينهم وبين السعى والمرضى لله تعالى بالموت فى منزلة منكر ونكير اللذين هما رسولان من الله تعالى لفتنة الميت فى القبر ، فإن هذا أمر كائن لا محالة فعساهم ينتهون من سكر الدنيا ويستيقظون من نوم الغفلة

وتخلصون بعض التخلص من أسر الدرهم والدينار فتقول لكل واحد منهم كمقالة الملكين الكريمين وأنت تعتقد فيهم الخير والصلاح ولكن من قبيل قوله تعالى :

﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا (١٣) ﴾ [الأعلى : ٩ - ١٣]

يا أيها الموحد : من ربك ؟

ومن نبيك ؟

وما دينك ؟

وإن تسمع منى ذلك وأنا مثلك ومن جسمك وأنت فى فسحة متى تعلم ذلك ، وفى مهلة من جانبى . وإلا ستسمع ذلك من شديدين غليظين لا يمهلانك ، ولا يصبران عليك ولا ساعة ، بل ولا لمحة ، فانظر فى أمرك ماذا ترى ؟.

ثم قرر لهم ذلك يا أخى بلسانك المخصوص المفهوم بينك وبينهم وبين لهم حقيقة الجواب عن الأسئلة الثلاثة وفهمهم ذلك حتى يحصل المعنى فى روحانيتهم ، فينتفعون بها فى عالم القبر فإن النفوس تنطق فى ذلك العالم الحق بما

فيها ولا يمكنها غير ذلك ، والحفظ اللسانى لا ينفع فى ذلك العالم ، لأن بالانتقال من عالم الدنيا ينقطع الحكم بالظاهر ويبقى الحكم بالسرائر .

ونحن نقرر الجواب عن الأسئلة الثلاثة على وجه الاختصار فنقول :

أما السؤال الأول : فهو قول الملكين : **من ربك ؟** ومرادهما الاختبار عن معرفة عن معرفته المعرفة الصحيحة ، وبيانها على طريقة أهل السنة والجماعة الذى هو المذهب الحق الموافق لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف

الصالحين ، وهو المطابق أيضاً للبراهين العقلية ، وعليه جاء الفتح الإلهى بالإلهام لأصحاب الإلهام فهو المطابق لحقيقة الأمر من غير شك ولا ريب ، وما عداه زيغ محض وضلال صرف ، وكفر صراح ، وذلك أن الرب الذى نعبده معاشر المؤمنين لم يعرفه أحد ولا يمكن أن يعرف المخلوق ربه (أى مخلوق كان) سواء كان نبياً أو ملكاً أو مؤمناً من الخاصة أو العامة أن يعرف مرتبته ، ويعرف ما ينبغى أن يكون عليه جل وعلا من الصفات .

ولكن لما تفاوت العلم بالمرتبة تفصيلاً

وإجمالاً ، وقوة وضعفاً ، تفاوت العَالِمون بذلك ، فليس علم النبى والملك كعلم غيرهم ، ولهذا قال تعالى لنبيه ﷺ الذى هو أعلم الخلق كلهم بيقين ﴿ **وقل رب زدنى علماً** ﴾ . [طه : ١١٤]

فلو حصل له ﷺ علم بكنه ذات الله تعالى لما قبل علمه الزيادة أصلاً ، ولكان لمّا كان علمه بالمرتبة الإلهية ، وهى بالنسبة إلى الخلق قليلة الزيادة ، طلب منه أن يطلب الزيادة من ذلك .

ومن المعلوم إن المراتب ثلاثة :

الأولى : مرتبة الوجود الحق .

الثانية : مرتبة الوجود الخلق .

الثالثة : مرتبة العدم الصرف .

وهـذه المراتـب الـثلاثة متمـيزة غايـة التمـيز ، لا يمكـن أن يكون فى كل مرتبة منها شىء من المرتبة الأخرى .

فلـيس فـى الوجـود الحق ، والوجود الخلـق شـىء مـن العدم الصرف ، ولا فى العـدم شـىء مـن الوجـود الحـق و الوجود الخلـق ، فـإذا كـان الأمـر كذلـك كانـت معـرفة الوجود الخلق بالوجود الحق معرفة مـن جـنس الوجـود الخلـق لأنهـا صـفة للوجـود الخلق ، لا هى من جنس الوجود

الحق فيبقى تسميتها معرفة وأنها مطابقة للمعروف مجرد حكم إلهى ، لقوله تعالى ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ [البقرة : ٢٦٨]

ولا شك أن التحسين والتقبيح عند أهل السنة شرعيان لا عقليان ، كما هو مفصل فى علم الأصول ، وليس بين الخالق والمخلوق قدر مشترك يعرف كلاً منهما الآخر به ، ولا مطلق الوجود ، لأنه واجب فى الخالق ، جائز فى المخلوق ، وشتان بينهما .

فكما أن الله ﷻ يعرفنا معرفة قديمة ليست كمعرفتنا بأنفسنا ، لأن معرفتنا

بأنفسنا مخلوقة مثلنا ، ومعرفته تعالى بنا قديمة من قبل أن نخرج من عدمنا كذلك نحن نعرف الله تعالى معرفة حادثة ، لائقة بنا كمعرفته بنفسه المعرفة القديمة .

فنخلص من هذا إلى أن عندنا منه معرفة حادثة ، وعنده منا معرفة قديمة . والمعرفة القديمة اعلى من المعرفة الحادثة ولهذا لا يخفى عليه شىء منا وتخفى علينا أشياء منه ومنا ، وذلك لأن الحادث لا يشبه القديم ولا بوجه من الوجوه لأنهما حقيقتان متباينتان كل التباين لا يجتمعان فى جنس ولا فصل .

فإذا تقرر هذا فنبه يا أخي إخوانك من المؤمنين أن جميع ما خطر على خواطرهم من حين أدركوا الدنيا إلى يومهم هذا ، إنما هو أشياء مخلوقة فقط وما خطر الخالق على بالهم أبداً ، ولا يمكن أن يخطر لما قدمناه .

وقد نقل عن أبي إسحق الاسفرايني ـ رحمه الله تعالى ـ وكان من أهل السنة والجماعة ـ أنه كان يقول : جميع أهل الحق جميع عقائدهم بالله تعالى في كلمتين كل ما خطر في بالك أو توهمه عقلك فالله على خلاف ذلك ، وأن الله

تعالى ذات لا تشبه الذوات ، ولا معطلة عن الصفات والحاصل أن جميع ما يعلمه المخلوق مخلوق ، غير أن الذى يعلمه المخلوق منقسم إلى قسمين :

قسم هو مرتبة الخالق ، ومرتبة صفاته بحسب ما هو عليه المخلوق .

وقسم هو مرتبة المخلوق ومرتبة صفاته أيضاً بحسب ما يمكن المخلوق .

والقسم الأول : الذى هو مرتبة الخالق ، ومرتبة صفاته بحسب ما هو عليه المخلوق : يفترض على كل مكلف

معرفته .

وبيان ذلك بحسب ما يمكننا على مقتضى ما نعبد ربنا بذلك أن نعتقد جازمين بلا شك ولا ريب أن الله تعالى له **ذات** ، وله **صفات** ، وله **أسماء** وله **أفعال** ، وله **أحكام** ، وأن جميع هذه الحضرات الخمسة لله تعالى قديمة أزلية ، وجميع ما عند المخلوقات على اختلاف أنواعهم منها غير مطابق لها لمجرد الحكم الإلهى الحاكم بالمطابقة فى ذلك فهى عند كل مخلوق غيب مطلق لا يصير شهادة ، ولا ينافى ذلك رؤية الله تعالى فى الآخرة ،

فإن عالم آخر غير عالمنا هذا عالم التكليف والالتباس ولنا فيه نشأة أخرى غير نشأتنا في هذا العالم ، فلا نتكلم عليه الآن غير أن نؤمن به فقط ، والله مطلع على حقائق الأحوال .

وقد صدرت عن هذه الحضرات الخمسة القديمة هذه المنفعلات التي هي جملة العالم خرجت من العدم وصارت أشياء بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً ، وليس لإخراجها من العدم كيفية بالنسبة إليه تعالى لأن الكيفيات كلها من جملة العالم فلو كان لإخراجها من العدم كيفية

بالنسبة إليه تعالى ولتلك الكيفية كيفية أخرى ، ويلزم التسلسل وهو باطل .

وكذلك لم تخرج جملة العالم من العدم فى زمان بالنسبة إلى الله تعالى لأن الزمان إما مدة لحركة أو نفس الحركة ، أو متجدد بقدر به متجدد آخر على اختلاف الأحوال ، فالزمان من جملة العالم .

وحين أوجد الله تعالى الزمان لم يكن إيجاده ذلك فى زمان ولا تسلسل أيضاً وكذلك لم يوجد الله تعالى جملة العالم كله فى مكان ولا فى حيز ، لأن المكان ما

استقر عليه الشيء ، والحيز ما ملأ الشيء وهو أما الفراغ المتوهم على قول ، أو السطح الباطنى من الحاوى المماس للسطح الظاهرى من المحوى على قول آخر ، فالمكان والحيز من جملة العالم .

فلو أن العالم جميعه فى مكان أو حيز لكان المكان فى مكان ، والحيز فى حيز ويلزم التسلسل وهو محال ، وإذا كان هذا فى جملة العالم وهو حادث فكيف الله تعالى القديم ، فهو بالأولى أن لا يكون له مكان ولا حيز ، تعالى الله عما يقولون ، الظالمون علو علواً كبيراً .

واعلم أن الحضرات الخمسة إلى لله تعالى المذكورة ، وهى حضرة **ذاته** ، وحضرة **صفاته** ، وحضرة **أسمائه** ، وحضرة **أفعاله** ، وحضرة **أحكامه** ، كلها ذات واحدة موصوفة بصفات مسماة بأسماء صادرة عنها أفعال ولها أحكام ، وليس فى ذات الله تعالى تركيب ولا تعدد حضراتها يوجب انتفاء وحدتها جل الله عن ذلك فأما حضرة ذاته تعالى فقد تقدم الكلام عليها .

وأما حضرة صفاته : فهي كثيرة جداً لا تدخل تحت حصر ولا نهاية ، وقد

ورد بعضها مصرحاً به الكتاب والسنة ، وذكر منها العلماء - رحمهم الله تعالى - جملة فى مصنفاتهم ، وذكر السنوسى منها عشرون صفة ، وقد جمعت منها ما يزيد على الأربعمائة صفة فى رسالة مستقلة ، منها المتشابه والمحكم وأفصحت فى شرحى على المقدمة السنوسية عن العشرين صفة التى ذكرها السنوسى وشرحتها شرحاً شافياً ، وليس هذا موضع بيان ذلك لأنه شىء يطول ذكره ومرادنا الاختصار لكم فى هذه العجالة وصفات الله تعالى كلها قديمة

أزلية لا هي عين ذاته ولا غيرها .

وأمـا أسمائـه : فهـي التوفيقـية على حسـب مـا ذكـروا في الكتاب والسنة ، ولا تحصـى أيضـاً ، ولا تدخـل تحـت نهايـة وقـد صـنف فيها العلماء المصنفات العديدة ممـا يطـول استقصائه ، وكلها قديمة أزلية أيضاً لا هي عين الصفات ولا غيرها .

وأمـا حضـرة أفعالـه تعـالى : فهـي كـثيرة أيضـاً لا تعـد ولا تحصـى ، وهـى أنـواع التكوين للعالم ، كالتخليق والترزيق والإعطـاء والمـنع والإحياء والإماتة والإعزاز والإذلال إلى غـير ذلـك ممـا يطـول ذكـره

وكلها عندنا قديمة أزلية أيضاً لا هي عين الأسماء ولا غيرها .

وأما حضرة أحكامه تعالى : فهي كثيرة لا تتناهى أيضاً ومنها جميع أنواع الشرائع التي شرعها الله تعالى لعباده كالتحريم والتحليل والتصحيح والإفساد ونحو ذلك .

وهي على أقسام ثلاثة :

أحكام شرعية : كما ذكرنا .

وأحكام حسية : كالحكم على الإنسان بأنه جسم مصور في صورة

مخصوصة ، والحكم على الحجر كذلك .

وأحكام عقلية : كأنواع الحكم العقلى الثلاثة الوجوب والاستحالة والجواز .

وهذه الأحكام بأنواعها الثلاثة أحكام الله تعالى ، والله تعالى حاكم بها من الأزل ، غير أنها ظهرت عندنا فحكمنا بها على حسب ما يليق بنا مما كلفنا به ، وكلها قديمة أزلية لا هى عين الأفعال ولا غيرها والنسخ والتغيير الواقع فيها على حسب أنواعها الثلاثة مجرد انتهاء حكم وابتداء حكم آخر من حيث الظهور لا من

حيـث ذاتهـا لأنهـا قديمـة وكـل مـتغير حادث .

* واعـلم يـا أخـى وعلم إخوانك من المؤمـنين أن هـذا الـذى قررناه فى حق الله تعالى هو معرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة الـتى تـنفى الجهالـة ، فـإذا فهمهـا العبد وتحقـق بمعانـيها لا حفظ عبارتها فقط من غـير فهـم وتحقق فإن الانتفاع بها موقوف عـلى الفهـم لا الحفظ ، فإنه إذا قال منكر ونكـير بعد موته وهو فى قبره : من ربك ؟ يمكـنه فى ذلك العالم أن يقول : الله ربى لوصـــول معـــرفة الله إلى روحـــه بـــالفهم

والتحقق ، وأما إذا لم يفهم العبد ما قلناه وشرحناه وأعرض عنه أو جحده وأنكره فإذا قال له الملكان : من ربك ؟ لا يمكنه أن يقول ما ليس عنده ، وإنما يقول : لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت مثله على حسب ما ورد به الحديث الشريف، لأن معرفة الله تعالى بعيدة عنه، وإنما هو عابد أوهامه وتخيلاته التى الله تعالى برىء منها وهى ظن السوء بالله تعالى فعند ذلك يشتعل عليه قبره ناراً ويتخلد فى العذاب مع الكافرين ونعوذ بالله من ذلك .

* فتنبه يا أخي ونبه إخوانك المؤمنين لمثل هذه الورطة ، وليكونوا مستعدين بحسن الاعتقاد لهذه العقبة الصعبة ، فإن من كان يعتقد في ربه شيئاً مما يخطر في خاطره فهو مشبه ، وكل من كان يعتقد أن الله تعالى في مكان أو هو في جهة من الجهات فهو مجسم ، وكل من كان يعتقد أن الله تعالى في شيء من العالم فهو حلولي ، وكل من كان يعتقد أن الله تعالى متوالد من شيء متوالد ، أو متوالد منه شيء فهو إلحادي ومتى خطر شيء من ذلك في قلب المؤمن ولم يقبله

لقوة معرفته بربه معرفة دليل عقلى أو بقلب مطابق جازم لا يضره ذلك الوسواس بل هو جهاد معه فله أجر المجاهد ومتى قبل شيئاً من ذلك ورضى به ونسب إليه كفر والعياذ بالله .

ولو أهمل نفسه ولم يفتشها فى هذه الحياة الدنيا التى يمكن فيها اكتساب كل خير والتخلص من كل شر ، فيحتمل أن يعتقد فى الله تعالى ما يعتقده أهل الضلال والزيغ وهو لا يشعر كمن يعتقد أن الله فى السماء أو أنه جسم أو أن له مكاناً و نحو ذلك مما فشا الآن بين العامة من الرجال

والنساء فى غالب البلاد فترى تلتبس عليه نفسه ما ليس عندها فيحسن ظنه بها ، ويخاصم كل من نصحه فى عيوبها ، فإن النفس بيت للشر .

وذكر الإمام القشيرى فى رسالته : أن جميع المشايخ أجمعوا على أن النفس لا تصدق والقلب لا يكذب فيكون من هذا حاله منافقاً يظهر الإيمان فيقول آمنت بالله الخ . ويتكلم بالشهادتين ومع ذلك يعتقد فى الله تعالى المكان والجهة والجسمية وهو محسن ظنه بنفسه ، فيضمر الكفر ويظهر الإيمان كما قال تعالى

﴿ **إن المنافقون فى الدرك الأسفل من النار** ﴾ [النساء : ١٤٥]

وهذا مقدار ما يجب على من النصيحة لأمة محمد ﷺ ، قال تعالى

﴿ **وقل الحق من ربك فمن شاء** فليؤمن ومن شاء **فليكفر** ﴾ [الكهف : ٢٩]

وأما السؤال الثانى : فهو قول الملحين : ومن نبيك ؟

ومرادهما الاختبار منه عن إيمانه لمحمد ﷺ وتصديقه بمقام النبوة وهذا يحتاج إلى البيان ، **فنقول والله المستعان :**

* اعلم يا أخى أن الإيمان بالنبوة إيمان بالغيب عند العقول الصحيحة ، ولو فى حق الصحابة ﷺ أجمعين الذين رأوا النبى ﷺ لأنهم ما رأوا إلا ظاهره وآمنوا بباطنه إيماناً بالغيب وليسوا بأنبياء حتى يطلعوا على هذا الغيب ، ولا فرق بيننا وبينهم إلا من حيث رؤيتهم ظاهر النبى ﷺ ولهم الفضل والشرف علينا فى بذلك ، وبيان كون النبوة غيباً عند العقول الصحيحة : ((أن أصول الأطوار الإنسانية ثلاثة)) وفروعها لا تتناهى قال تعالى ﴿ **وقد خلقكم أطواراً** ﴾ [نوح : ١٤]

فـالطور الأول طـور الإيمـان: هـو الإيمـان بـالله تعـالى وأما الإيمان بغيره مما يجـب الإيمـان بـه فهـو تابع للإيمان بالله وهذا الطور الذى هو طور الإيمان بغيره مما يجـب الإيمان به فهو تابع للإيمان بالله ، وهـذا الطـور الـذى هـو طـور الإيمـان بالله تعـالى هو: التنزيهات العقلية والتسبيحات لله تعـالى عـن جـميع الأمـور الوهمية على حسب ما قدمناه ، وهو مقام عامة المؤمنين ، ولا يـنجو أحــد مــن الله إلا بــه ، ولا يدخـل أحـد الجـنة إلا بـه وهو أول مرتبة من مراتب الأولياء .

والطور الثانى طور الولاية: فوق طور الإيمان ، ولا يصل أحد إليه إلا بعد دخوله فى طور الإيمان ، وهذا الطور الذي هو طور الولاية هو انقلاب حجب الكائنات التي تحجب عن الله تعالى مظاهراً له ولصفاته من غير أن تتغير عما هي عليه من الإمكان والحدوث بحيث تكون البصيرة غافلة عن ذلك فتشهدها له وتعلم أنها كانت تدركه من قبل على ما هو عليه فيقوى يقينك في الله وفي صفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه بسبب ذلك ، وهذا هو المعبر عنه بالكشف عند

السادة الصوفية ، وهو طور المعرفة بالله معرفة الكشف والعيان أرقى من معرفته معرفة الدليل والبرهان التي هي أعلى من معرفة التقليد والإذعان ، وفى هذا الطور الذي هو طور الولاية تفهم الخطابات القرآنية والأحاديث النبوية على حسب ما هى عليه من زيغ ولا ضلال ، وهو مقام خاصة المؤمنين ينالون به المنازل العالية فى الجنان ، وهو أول مرتبة من مراتب الأنبياء .

والطور الثالث طور النبوة: فوق طور الولاية ، ولا يصير النبى نبياً ما لم يصير

ولـياً ، كمـا أن الولـي لا يصير ولياً ما لم يصر مؤمناً .

فهي أطوار ثلاثة بعضها فوق بعض ، طـور الإيمان ، ثم أرقى منه طور الولاية ، ثم أرقى منه طور النبوة ، فالولي مؤمن ولى ، والنبي مؤمن ولى نبي .

وكـل طـور مـن هـذه الأطـوار الـثلاثة مشـتمل عـلى أطوار لا تحصى بعضها فوق بعـض ، ولكـن لا تخـرج عـن هـذا الطـور الذى هو أصلها وهى منسوبة إليه فالإيمان أطـوار بعضـها أرقى من بعض ، والمؤمن لا يعـرف الولى لأنه فوقه ، وإنما يحسن ظنه

به ، ويؤمن به إيماناً بالغيب ، لأنه أرقى منه والأدنى لا يعرف الأعلى ، فالمؤمن عاجز عما يدركه الولى كما أن الولى عاجز عما يدركه النبي .

ونظير ذلك : عجز الطفل الصغير عما يدركه المميز ، وعجز المميز عما يدركه البالغ الكبير ، وكما أن الصغير إلى حد التمييز متفاوت فى الإدراك ، فكذلك الإيمان متفاوت فى الدرجات ، وكما أن التمييز متفاوت فى الإدراك إلى حد البلوغ فمثله الولاية متفاوتة فى المقامات ، وكما أن البلوغ متفاوت فى الإدراك إلى سن

الكهولة والشيخوخة وما فوق ذلك فنظيره النبوة متفاوتة فى المراتب .

فكيف الأطفال يعرفون المميزين ، وكيف المميزون يعرفون البالغين ، وكيف المؤمنون يعرفون الأولياء ، وقد رفع الله الأولياء عليهم بأن أعطاهم ما أعطى المؤمنين وزادهم مقامات القرب فى حضرات المشاهدة ، وكيف الأولياء يعرفون الأنبياء ، وقد رفع الله الأنبياء عليهم بان أعطاهم ما أعطى الأولياء ، وزادهم مقامات الاختصاص فى حضرات غيب الغيب مما لا يعرفه الأولياء فضلاً

عـن المؤمـنين ، فـلا يـبق عـند المؤمـنين والأولـياء مـن معـارف الأنبـياء إلا الإيمـان بالغيـب وهو المقصود فى التكليف بالإيمان بالنبوة ، والحاصل من لم يكن مؤمناً بنبوة الأنبـياء علـيهم الصـلاة والسـلام كإيمـان الأكمـه (الـذى ولـد وهـو أعمى) بالألوان فهـو بعـد لم يكمـل إيمانـه بالنـبوة ، فإن الأكمه الذى ولد أعمى ناقص الحاسة التى يـدرك البصـير الألـوان وهـو البصـر ، ولا يمكـن إدراك الألـوان بحاسـة أخـرى غـير البصـر مـن بـاقى الحـواس ، وكذلـك غير النـبى مـن المؤمـن والولى ليس عندهما القوة

التى يدرك بها النبى طور النبوة لأنهما بغير استعداد لتلك القوة ، وليست النبوة مكتسبة حتى يمكن اكتساب تلك القوة كالجنين يخرج من بطن أمه مستعداً للقوة العاقلة للأشياء ، وأما الحيوان فلا يولد مستعداً لتلك القوة فلا تظهر فيه ولا يعقل الأشياء ، والأكمه الذى ولد أعمى متى أراد أن يدرك الألوان بحاسة السمع أو اللمس أو الشم أو الذوق لا يمكنه ذلك فربما توهم الألوان شيئاً مما يدرك بهذه الحواس الأربع وأخطاء فكان إيمانه فى الحقيقة بما توهم لا بالألوان .

وكذلك غير النبى إذا أراد أن يدرك بالحس أو بالعقل ربما توهمها بعقله شيئاً من جنس ما يعقل فيخطىء فيكون إيمانه بالذى توهمه ، لا بحقيقة النبوة ، فيموت على ذلك ، وهو لم يؤمن بالنبوة بعد ، ويلقى الله غير مؤمن بها ، فيكفر والعياذ بالله وهو لا يشعر .

وإنما سئل الأكمه فى إيمانه بالألوان أنه يؤمن بأن هناك أشياء يقال لها الألوان ليست من جنس جميع ما يدركه بحواسه الأربع وعقله وهو عاجز عن إدراكها عجزاً ضرورياً ، لعدم وجود تلك الحاسة التى

تـدرك بهـا فـيه ويخطـئ جمـيع مدركاتـه بـيقين مـن غير شبهة ويؤمن بأن الله تعالى خلـق غـيره مـن البصـراء فـيهم تلـك القوة الباصرة التى تدرك أى الألوان دونه فيكون إيمانه بذلك إيماناً بالغيب والإيمان بالنبوة فـى محمـد ﷺ مـن هـذا القبـيل ، وكذلك الإيمـان بجمـيع الأنبـياء من آدم إلى محمد صـلوات الله وسـلامه علـيهم أجمعـين ، ولكـن لمـا كـان الإيمـان بهـم مـندرجاً فـى الإيمـان بمحمـد نبيـنا ﷺ لأنه جاء مصدقاً لهـم كـلهم اقتصر الملكان على السؤال عنه ﷺ بقولهم : ومن نبيك ؟ .

* واعلم يا أخى وعلم إخوانك من لم يكـن إيمانـه بالنبوة والنبى كما ذكرنا ، لا يمكـنه أن يجيـب الملكين عن سؤالهما عن بيـنة لأنه بالنبوة على خلاف ما هى عليه ، وكـان يؤمـن بالأنبياء عليهم السلام على حـد مـا هـو علـيه وهو ليس بنبى ، وكان يؤمـن بالأنبـياء علـيهم السـلام أنهم ليسوا بأنبياء وهو لا يشعر ، كما قال تعالى

﴿ وهـم يحسـبون أنهـم يحسـنون صنعاً ﴾ [الكهف : ١٠٤]

وذلـك لتركهم الإيمان بالغيب ، والله الموفق .

وأما السؤال الثالث : فهو قول الملكين : وما دينك ؟

ومرادهما امتحانك بسؤالك عما كنت عليه من الدين فى الدنيا ، فاعلم يا أخى أن الدين هو ما يدين له الإنسان ، أى : يذعن وينقاد ، ويطيع ويخضع من الاخبارات اليقينية والإنشاءات الشرعية ، قال تعالى ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يتقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ [آل عمران : ٨٥]

والإسلام هو الاستسلام والانقياد ، فهو والدين بمعنى واحد ، والذى يستسلم

وينقاد إليه المسلم ويدين ويذعن له صاحب الدين منقسم إلى قسمين :

القسم الأول :

إخبارات نفسية نزلت بها الكتب ، وأرسل بها الرسل وهى الاعتقادات الصحيحة المطابقة لما هو الحق فى الحقيقة كخبر وجود الله تعالى ووجود صفاته وأسمائه وأعماله وأحكامه على حسب ما ذكرناه مفصلاً فيما سبق وكخبر وجود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة ، ووجود عصمتهم من صغائر الذنوب وكبائرها ، ووجود أمانتهم

وتبليغهم جميع ما أمرهم الله تبليغه للخلق ، وكبر معجزات الأنبياء كلها وكرامات الأولياء وجميع ما وقع من خوارق العادات .

وكذلك ما ورد على ألسنة المرسلين بمقتضى ما اشتمل عليه كتاب الله من أحوال الموتى في القبور ويوم البعث والنشور وأشراط الساعة وما سيكون يوم القيامة من الصراط والميزان والجنة والنار وتخليد أهلهما فى النعيم والعذاب الأليم، فجميع ذلك حق يدين به صاحب الدين على ما هو عليه .

* واعلم أن اليوم الآخر وجميع ما فيه من الموت إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار حق لا شبهة فيه يفترض الإيمان به من غير تصور ولا تخيل ، ولأن ذلك خارج من معقولنا الدنيوى وحسوسنا ، ونحن نعلم قطعاً أننا فى عالم الدنيا ، والدنيا غير الآخرة .

وقد ورد في السمع عن الصادق ﷺ أمور توصف بها الآخرة على خلاف أمور الدنيا كخبر الصراط ومرور الناس عليه وخبر الميزان وتجسيم الأعمال ووزنها به ووصف أحوال أهل الجنة والنار لا سيما

وقد قال الله تعالى ﴿ **وأن عليه النشأة الأخرى** ﴾ [النجم : ٤٧]

أى : خلقه أخرى غير هذه النشأة الدنيوية .

والحاصل أنه لابد من الإيمان بالغيب فى أحوال الآخرة ، والآن ربما استبعد العبد شيئاً من ذلك حيث لم يدركه بعقله فحول يقينه إلى الظن ، وربما وصل الأمر إلى جحود شئ من ذلك فيكفر والعياذ بالله ، فإن سبب كفر الفلاسفة وسائر الفرق الضالة والزائغين لتحكمهم بالتفهم العقلي على ما لا يمكن أن يدرك بالعقل كإنسان

بـيده المـيزان الصغير الذي يُوزن الذهب ، فالـتزم أنـه يصدق بثقل شئ إلا بوزنه لـه بـه ، فـإذا عرضـت علـيه صـخرة مـن الصـخور أو جـبل مـن الجبال وأخبر بثقل ذلـك حاول أن يدخل في ميزانه فلم يمكنه لعظـم ما أخبر به واحقار ميزانه فعند ذلك تتمـيز السـعادة مـن الشـقاوة فأمـا السـعيد فينسـب العجـز عن ذلك لميزانه ويؤمن بما أخـبر به إيماناً بالغيب فيدخل تحت قوله تعـالى ﴿ **هـدى للمـتقين الذيـن يؤمـنون بالغيب** ﴾ [البقرة : ٢]

وأمـا الشقى فينسب الذى أخبر بذلك

إلى الكـذب ويسـيء ظـنه بـربه وينتصـر لـميزانه ويوثقـه ويعـتمد علـيه ، فيلـتحق بالأخسـرين أعمـالاً الذيـن ضل سعيهم فى الحـياة الدنـيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صـنعاً ، والله يهـدى مـن يشـاء إلى صـراط مستقيم .

والقسم الثاني :

ممـا يستسـلم إلـيه المسـلم ويديـن لـه صـاحب الديـن إنشاءات شرعية نزلت بها الكتـب وأرسـلت الرسـل أيضـاً ، وهـى الشـرائع المخـتلفة الـتى تعـبد الله تعالى به جمـيع الأمـم ، ولكـل أمـة شـريعة ، وقد

نسخ بعضها بعضاً حتى ظهرت شريعة
محمد ﷺ فنسخت جميع الشرائع التى
قبلها وهى باقية إلى آخر الزمان ،
فالإسلام الانقياد إليها والدين الإذعان لها
أن فهمت معانى أحكامها ، وإن لم تفهم
ومتى نازع العقل شيئاً منها أو أعترض
الفهم على حكم من أحكامها كان ذلك
ذريعة إلى الخسران ، والذى يتعين على
كل مؤمن أن يكون بين يدى الشارع الذى
يأمره وينهاه بمنزلة الميت بين يدى
الغاسل ، فإن صاحب الشرع المحمدى
أعلم منا بما ينفعنا ويضرنا وأشفق منا على

أنفسنا .

نسأل الله أن يختم لنا بالحسنى وأن يلطف بنا فيما قدره علينا فقد استودعناه إيماننا وإسلامنا وصالح أعمالنا وهو الذى لا تضيع عنده الودائع ، وقد استعذنا به من شرور عدونا الرجيم وشرور نفوسنا وشرور القواطع التى تقطعنا عن التعلق بجنابه الكريم ، ونسأله أن يغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وذريتنا وأصحابنا وأحبابنا ومشايخنا وجميع إخواننا من المسلمين أجمعين .

تم بحمد الله

دعاء رسول الله ﷺ للميت

قال النبي ﷺ : { إذا صليتم على الميت فاخلصوا له الدعاء } أبو داود وابن ماجة

عن عوف بن مالك قال: صلى النبي ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه: {اللهم أغفر له وأرحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله، ووسع مدخله ، وأغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه ، وأدخله الجنة ، وأعذه من عذاب القبر ، ومن عذاب النار }

وروى أبو هريرة عنه ﷺ أنه كان يقول في صلاة الجنازة : { اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وأنت رزقتها ، وأنت هديتها للإسلام ، وأنت قبضت روحها ، وتعلم سرها وعلانيتها ، جئنا شفعاء فاغفر لها } رواه أحمد .

وعن واثلة بن الأسقع قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول { اللهم إن فلان ابن فلان فى ذمتك وحبل جوارك ، فقه فتنة القبر ، وعذاب النار ، وأنت أهل الوفاء والحق ، فاغفر له وأرحمه ، إنك أنت الغفور الرحيم } أبو داود ، وأبن ماجة وابن حبان

ما ينتفع به المؤمن بعد موته

١ ـ الصلاة عليه : قال ﷺ : { ما من ميت يصلى عليه أمة من الناس إلا شفعوا فيه } رواه النسائى وحسنه الألبانى .

٢ ـ استئناس الميت : قال عمرو بن العاص ﷺ ((فإذا دفنتمونى فأقيموا حول قبرى قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها ، حتى استأنس بكم ، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى)) مسلم

٣ ـ الدعاء له بعد دفنه : عن عثمان بن عفان ﷺ قال : كان النبي ﷺ إذا فرغ

مـن دفـن الميـت وقـف علـيه وقـال : { استغفروا لأخـيكم وسلوا لـه التثبيت ، فإنه الآن يسأل } صحيح الجامع

٤ ـ عملـه في الدنـيا بعد موته : قال ﷺ : { إذا مـات ابن آدم انقطع عمله إلا مـن ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعوا له } صحيح الجامع

٥ ـ الاسـتغفار : قـال ﷺ : { مـن استغفر للمؤمـنين والمؤمـنات كتب الله لـه بكل مؤمن ومؤمنة حسنة } رواه الطبراني .